

المحاضرة 09: تطور الفكر الغربي الاشتراكي

من خلال مفهومها التاريخي اعتمدت كلمة الاشتراكية للتعبير عن مبدأ ضرورة المساواة والعدالة الاجتماعية في العلاقة بين الأغنياء والفقراء أي بين ما يمتلكون وسائل الإنتاج وبين من لا يمتلكون وقد ظهر هذا التعبير منذ العصور القديمة وفي الصين القديمة بشكل خاص عندما تعرض له الفيلسوف كونفوشيوس في كتاباته الفلسفية كما أن فلاسفة الإغريق تعرضوا لهذا التعبير وبالأخص أفلاطون في كتابه الجمهورية حيث دعا لإلغاء الملكية والأسرة.

وفي بدايات العصور الحديثة تعرض الفكر السياسي للاشتراكية وكان ذلك عبر توماس مور في كتابه "اليوتوبيا" حيث دعا لإلغاء الملكية وإقامة مجتمع شيوعي كفيل بتحقيق الرفاهية والسعادة والمساواة لجميع الموظفين في المجتمع وفي القرن السابع عشر ظهر أيضا كتاب جديد تحت اسم "مدينة الشمس" للمفكر الإيطالي كامبيللا تخيل فيه مدينة أفلاطونية تقوم الدولة فيها بالإنتاج وتوزيعه كما تلزم الجميع بالعمل.

كانت الكتابات الاشتراكية تعبر عن إحساس المفكرين وامتعاضهم من رؤيتهم شعوبهم يعانون الفقر والتعاسة في أوساط الطبقات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها هؤلاء الفقراء ومع ذلك لم تصل إلى مستوى تكوين نظرية أو مذهب اشتراكي قائم على أسس ومعطيات واضحة، ظهرت عبارة اشتراكية تقريبا في آن واحد في فرنسا وانجلترا فيما بين 1830-1840 ولكن الكلمة في تلك الحقيقة كانت لها معنى غامض فمثلا بيير لرو : يرى "أن الاشتراكية تتعارض مع الفردانية" أما روبرت أوين فيرى "أن الاشتراكية هي بصورة رئيسية نظام تجمعات كوبراتيفية"

مع التطور الصناعي الذي شهدته أوروبا خلال القرن التاسع عشر بدأت الكتابات الاشتراكية تتجه لتعبير عن واقع جديد تختلف بمعطياته عن واقع الفقر الذي كان سائدا من قبل فالثورة الصناعية وما خلفته من مؤسسات إنتاجية ونظم جديدة للإنتاج قد جعلت من رأس المال قوة هائلة وقادرة على التحكم بمصير الملايين من العمال المتدفقين على سوق العمل الصناعي من المدينة والريف، هذه الأوضاع البائسة في السكن وفي أوضاع العمل حيث الآلاف يعملون تحت سقف معمل واحد دفعت الكتاب الاشتراكيين إلى مهاجمة نظام العمل القائم الذي يفقد العمال حريتهم وسلامة صحتهم وإلى التركيز على دور الملكية الفردية التي تجعل من أصحابها الرأسماليين طبقة اجتماعية ذات قدرة على استغلال القسم الأكبر من أفراد المجتمع وهكذا توجه الكتاب الاشتراكيون لمهاجمة الفلسفة الفردية السياسية منها والاقتصادية معتبرينها المسؤولة عن سيئات الثورة الصناعية وذلك بسبب سعيها لحق تملك للأفراد بعيدة عن تدخل الدولة في النشاطات الاقتصادية لذلك اتجهت الكتابات الاشتراكية إلى حماية العمال وإلى ضرورة تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية

❖ أهم الرواد الاشتراكيين:

1- توماس مور:

يعد توماس مور مؤسس الاشتراكية الطوباوية بعد أن وضع كتاب سماه "Utopia" عرض فيه أفكاره الخيالية التي تروي حياة سعيدة لبحار عاش في جزيرة نائية كما انتقد في هذا الكتاب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية القائمة في إنجلترا.

2- روبرت أوين (1771-1858):

بدأت الأفكار الاشتراكية تنتشر في إنجلترا بسبب الثورة الصناعية على يد روبرت أوين الذي بحث في العلاقة بين العمال وأصحاب العمل مقترحا شكلا من التعاون الذي يضع حدا للمنافسة، فقد كان أوين يدير مصنع قطن يعمل فيه 500 عامل ويمكن تلخيص أفكاره في :

- إن تطور فكرة من المحبة البترونية نسبة إلى "باترون" أرباب العمل إلى المسيحية الاجتماعية، وقد سعى إلى ذلك من خلال خمس نقاط:
 - تحسين الحالة الصحية، بناء مدارس، زيادة الأجور، تخفيض مدة العمل.
 - السعي إلى سن قانون يعدل شروط عمل الأطفال تعديلا جذريا كما اعتمد على الدولة لتشجيع تجاربه في الشيوعية الزراعية وفي بنك التبادل أو المقايضة.
 - الشيوعية الزراعية كان يحلم بتدوين الصناعة في الزراعة وأراد أن ينشئ قري نموذجية تستبعد منها تماما الملكية الخاصة وإنشاء مجموعات خاصة "تعاونية" والتي تتميز:
 - أنها زراعية بصورة رئيسية.
 - أن الملكية الخاصة يجب أن تزول عنها.
 - الاشتراكية التعاونية والتعاضدية ظن أن العمل هو مقياس القيمة وأراد أن يؤسس مصرفا يتم فيه تبادل بوات العمل "بنك التبادل العادل".
 - كانت شهرة أوين في عصره كبيرة جدا ذلك أن عقيدته كانت مقبولة لدى البرجوازية حتى أنها ظلت في عمقها عقيدة برجوازية وفي سنة 1841 اجب ما هي الاشتراكية حيث قال "أنها منهاج العقلاني للمجتمع المؤسس على الطبيعة" انتقد أيضا بنثام ونظريته المنفعة.
 - كان من أثر نظرياته قيام التعاونيات في بريطانيا كما أن كارل ماركس تأثر بكتابات أوين كثيرا.
- أما في فرنسا فقد برز كل من :

3- سان سيمون (1760-1825):

لقد كان تصور "سان سيمون" للمجتمع بأنه يقوم على أفراد موهوبين يحتلون مراكز القيادة، وعلى هيئة عليا تتألف من ثلاثة مجالس (مجلس المخترعين، مجلس الباحثين، مجلس المنفذين) وهذه الهيئة هي الهيئة التخطيط العليا في البلاد ومن خلال التخطيط يتم القضاء الفوضى والبطالة والفقر والجوع.

4- شارل فوربيه (1772-1827):

كان يرى أن الإنسان مخلوق للسعادة وهي تأتي عند ما يلبي حاجياته الطبيعية بصفة معقولة، ومهمة المجتمع هنا هي ضمن تلبية مثل هذه الحاجيات لكل فرد فيه، انتقد فورييه النظام الرأسمالي القائم على أسس سيئة واتهم الرأسمالية بالتسبب في الفوضى والكثير من الأثام والآلام لذلك حسب رأيه يجب الانتقال إلى نظام الاجتماعي جديد منسجم وسعيد يتألف من وحدات إنتاجية تسمى كتائب تحتوي ما بين 1600 و 2000 شخص رجال ونساء في بناية ضخمة تضم كل وسائل الحياة ويتميز هذا المجتمع الجديد ب:

- لا توجد حكومة ولا تلغى الملكية الفردية لكنها تنظم وفقا لنسب محددة .
 - الجميع يعمل بصورة طوعية لأجل المنفعة العامة ويتحول العمل من لعنة إلى متعة.
 - يتناوب الأفراد في العمل بكل حرية بحسب ميولهم فيكون عملهم ابداعى جماعى.
 - 5- لويس بلان (1813-1882): فقد كان عمليا لأنه كتب في عام 1841 رسالة عنوانها "تنظيم العمل" طلب فيها من الحكومة أن تؤسس مصانع اشتراكية وتطبق النظام الاشتراكي الذي تقدم به، لاقت أفكاره تأييدا من العمال لدرجة أنهم انتفضوا سنة 1848 كما اعتنق أفكاره حزب ايطاليا الفتاة وحزب ألمانيا الفتاة.
- ويمكن اعتبار أفكار هؤلاء الكتاب الذين سبقوا ماركس تمثل الخيال والعاطفة بعيدا عن التنسيق وربط جميع العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ربطا سليما لا يعرضها للفوضى أو العدمية أو المثالية.

6- كارل ماركس (1818-1883):

- إن أهم ما يميز كارل ماركس عن غيره من المفكرين هو انفراده بتناول الحياة الإنسانية من جوانبها المختلفة، فالنسبة لمفكري عصره يعتبر ماركس فيلسوفا ومؤرخا وعالما اجتماعا وباحثا اقتصاديا أهم أفكاره:
- تبدأ الماركسية بافتراض أن الديمقراطية الليبرالية ليست سوى ديمقراطية شكلية صورية بحيث تصبح تعبيرا عن دكتاتورية رأس المال.
 - تدعي الماركسية أنها الحل الوحيد لجميع مشاكل الانسان المتعلقة بالحرية والديمقراطية والعدل.
 - أرجعت جميع مظاهر السلوك الإنساني إلى عوامل مادية بحتة.
 - تقر الماركسية بمبدأ سيادة الشعب إلا أن الشعب ينبثق من مفهومه من نظرية الصراع الطبقي.
 - يتبنى الفكر الماركسي مراحل الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية وهذا التفسير للثورة والذي أصبح قاعدة من قواعد الثورة الماركسية.
 - الصراع الطبقي: نظر ماركس إلى الدولة على أنها مجرد وهم زائف وبالتالي يجب البحث في جوهرها وهو الصراع الطبقي وقد عبر ماركس وأنجلز بقولهما "إن تاريخ كل مجتمع بشري إلى يومنا هو تاريخ الصراع بين الطبقات"، وقد ذكر ماركس أن البرجوازية خرجت من النظام الإقطاعي كقوة ثورية فرضت أفكارها على مجتمع ونظمه وفقا للتجارة الحرة وسيطرة المادة، وقد لاحظ أن ملكية وسائل الإنتاج تؤدي بالضرورة لخلق مصالح طبقية تعمل بموجبه الطبقة المالكة لتك الوسائل على السيطرة على الدولة واستخدامها كأداة لاستغلال الآخرين في الدولة.

- رأى أن النظام الرأسمالي حوى في طبياته بذور فنائه حيث قام بتجميع البروليتاريا في المدن مما خلق الشعور بالاضطهاد وعد الرضا بالوضع القائم، والنظام الرأسمالي بتبلوره يبلور تناقضات داخلية بفعل تراكم رأس المال في أيد قليلة من الطبقة البرجوازية مما يعرقل المنافسة الحرة.